الموارد الترابية والتنمية المحلية بمنطقة صفرو

ذ. اليزيد حمدوني علمي*، ذ. بوشتى الخزان*، ذ. زهير البحيري*.

* مختبر الدراسات الحضرية،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس

تعد التنمية في بعدها المحلي الرهان الحقيقي لكل المجتمعات الإنسانية، وذلك من أجل مواجهة التحديات الكبرى التي ما فتئت تفرضها التحولات الداخلية والخارجية، كما تعتبر ضرورة أساسية لمواجهة المشاكل الكبرى والاختلالات البنيوية التي تراكمت طوال عقود طويلة من الزمن، أفرزها الإخفاق المتوالي للتدخلات الرسمية نتيجة الجهل بالخصوصيات المحلية من جهة، وإهمال الإمكانات الذاتية من جهة ثانية.

وقد أصبحت الدول بفعل الدينامية الترابية التي تشهدها مجالاتها سواء القروية منها أو الحضرية، مطالبة في الظروف الحالية بالاعتماد على مواردها الترابية المحلية، وتعبئة إمكاناتها وطاقاتها الذاتية، وذلك من أجل تحقيق تنمية حقيقية، تتهيكل حول مشاريع ترابية قادرة على تحسين إطار عيش السكان المحليين، والنهوض بأوضاعهم السوسيو اقتصادية، كما تكون ضامنة لاستدامة الثروات الطبيعية والخيرات المختلفة.

ومنطقة صفرو تتوفر على العديد من الموارد الترابية التي تسمح في حالة تثمينها وتعبئتها، بتحقيق تنمية ترابية مندمجة ومستدامة، وذلك من خلال الانخراط الواعي للساكنة المحلية والتدبير المعقلن للفاعل السياسي والإداري، فبالإضافة إلى الرأسمال البشري الهام الذي يمتلك من المعارف والمهارات ما يؤهله للابتكار واتخاذ المبادرة ومواكبة التغيير، فإن المنطقة تتوفر على مجموعة من الموارد الترابية الهامة والمتنوعة، تتوزع ما بين الخيرات والإمكانيات الطبيعية، والتراث الثقافي بشقيه المادي واللامادي.

فما هي إذن الموارد الترابية المميزة لمدينة صفرو ومنطقتها؟ وما هي العناصر التي تشكل قيمة تميزها وتفردها؟، وكيف يمكن تثمينها وتعبئتها في إطار مشروع ترابي كفيل بتحقيق وكسب رهانات التنمية الآنية والمستقبلية؟.

لمقاربة هذا الإشكال والإجابة على تساؤلاته، ينبني تحليله على ثلاثة محاور أساسية:

- ✓ مدخل نظري يؤطر للظاهرة موضوع الدراسة.
- ✓ التشخيص الترابي الاستراتيجي للموارد المتوفرة بمنطقة صفرو.
- ✓ بناء المشروع الترابي على ضوء نتائج التشخيص المحصل عليها.

1 – تأطير نظري لمفاهيم الظاهرة.

1-1 – التنمية المحلية: تطور في المفهوم وتجدد في المقاربات.

ظهر مفهوم التنمية المحلية بفرنسا في الخمسينات من القرن الماضي، أي بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك في خضم الانشغال بمشاريع إعادة الإعمار، وقد جاء كرد فعل على الممارسات الفوقية والقطاعية لإعداد التراب، لكن المفهوم سيعرف بعد ذلك تطورا ملحوظا، حيث تداولته مختلف التخصصات العلمية والحقول المعرفية، كالجغرافيا، والاقتصاد، والسوسيولوجيا... وذلك بعدما تم الاقتناع بأن التنمية الحقيقية، لا يمكن أن تنبني إلا على تنويع وتطوير

الأنشطة وفق مقاربات ونماذج جديدة للتنظيم والإنتاج، تقوم بالأساس على تثمين الموارد والإمكانات الذاتية.

فالتنمية المحلية ترتكز على إحساس السكان بالانتماء إلى مكان عيشهم، والأخذ بعين الاعتبار لحاجياتهم وتطلعاتهم، ثم دفعهم إلى القيام بالمبادرات التي من شأنها أن تساهم في تنمية سوسيو اقتصادية متناسقة ومندمجة. والتنمية المحلية هي التمفصل ما بين الخيارات الاقتصادية القطاعية التي تتم على مستوى هرم الدولة، وبين تعبئة الموارد الذاتية لحيز ترابي معين، وحاجيات ساكنته ومبادراتهم، وتقتضي الانتقال إلى مستويات ترابية أصغر أي المرور من التوجهات الاستراتيجية الكبرى إلى المشاريع التنموية الموطنة.

وقد صارت التنمية المحلية تعني الاستراتيجية التي تهدف من خلال آليات التشارك إلى:

- توفير المحيط الملائم للمبادرات المحلية قصد تقوية القدرات الفردية والجماعية في الإبداع والإنتاج.
- التكيف مع المستجدات، وتحقيق التأهيل الذاتي كشرط أساسي للبقاء والاستدامة: مفهوم التنمية المستدامة.
- تطوير بدائل للتنمية قوامها تنويع الموارد، وابتكار أشكال جديدة للتنظيم والإنتاج، تدمج الاهتمامات الاجتماعية والثقافية والبيئية في البعد الاقتصادي للتنمية.

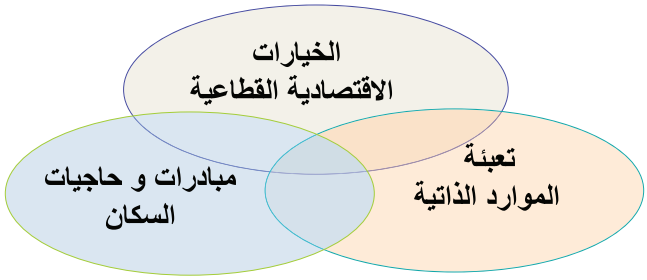

1-2 - تزايد الاهتمام بالموارد الترابية وبروز البعد الترابي المحلي.

برز البعد المحلي/ الترابي في خضم التحولات الهامة التي شهدتها المجتمعات داخليا وخارجيا: خارجيا نسجل احتدام المنافسة والنزوع نحو تكوين التكتلات الإقليمية والدولية، مع تحرير مسترسل للمعاملات التجارية والمالية، وتسارع وثيرة الابتكارات التكنولوجية والإعلامية، أي إجمالا تنامي ظاهرة العولمة وتجسيداتها المتعددة، بينما على المستوى الداخلي فيظهر تأخر النمو الاقتصادي، وتفاقم المشاكل الاجتماعية من بطالة وفقر وتهميش. كل هاته العوامل ولدت لدى المجتمعات البشرية الحاجة إلى التجذر في مجالاتها: أولا لتحصين خصوصياتها المحلية وتقوية هويتها، وثانيا البحث عن اندماج أفضل في سيرورة العولمة وتحقيق التنمية.

وفي هذا السياق برز مفهوم الموارد الترابية (المحلية)، وتزايدت أهميته في السنوات الأخيرة، حيث أصبح يحتل المكانة المحورية في المقاربة التنموية شموليا/ قطاعيا، ورأسيا/ أفقيا. وتعني الموارد الترابية كل العناصر والمكونات المادية واللامادية التي توجد في مجال ترابي معين، والتي تنتج في سياق التفاعل المتبادل بين الإنسان والمجال. فهي إذن الخاصية أو السمة التي تميز هذا المجال، حيث تكون إما مكون من مكوناته أو منتوجا له. وتضم الموارد الترابية المكونات المادية كالخيرات والثروات الطبيعية والاقتصادية المتنوعة والمختلفة، بالإضافة إلى العناصر اللامادية كالرأسمال البشري والثقافة، والمهارات والمعارف والتقنيات والإمكانيات ذات الطبيعة الأدبية والفنية والفكرية والمعمارية والحرفية والتراثية. وفي هذا الإطار فإن بيلودو *Billoudot* يعتبر المعارف أهم الموارد التي توضع رهن إشارة الفاعل لإنتاج الأنشطة في مجال معين، كما ميز برنار بيكر *Bernard Pecqueur* بين الموارد القائمة وهي التي تعرف بقيمتها وباستقلالها عن أي مسلسل إنتاج، وبين الموارد الخاصة وهي التي تنبثق من مسلسل تفاعل وتولد في إطار خصوصياته.

1-3 – المشروع الترابي: بعد تنموي، استراتيجي وتشاركي.

المشروع الترابي مشروع استراتيجي يروم تحقيق التنمية المندمجة والمستدامة، ويقوم المشروع على تثمين الموارد الذاتية المتوفرة بالنسبة لمجال ترابي محدد، بناء على تشخيص ترابي دقيق، وعبر إشراك حقيقي للفاعلين المحليين، منظمات المجتمع المدني والسكان. ويروم المشروع الترابي خلق قطيعة مع التدخلات القطاعية والنظرة المركزية للتنمية، من خلال العمل على نشر ثقافة ومنظور جديد للتدبير المجالي، ثقافة تهدف بالأساس إلى إرساء مقاربة جديدة في تناول الإشكاليات الترابية من خلال الإشراك الواسع لكل الفاعلين المعنيين بالمسألة التنموية، وأيضا بالمشاركة الحقيقية والفعلية للسكان، مع الحرص على التحليل الأفقي والشمولي للتنمية انطلاقا من الخصوصيات المحلية المادية والثقافية. ويبنى كل مشروع ترابي من خلال القيام بتشخيص ترابي استراتيجي يحدد الأولويات، الحاجيات، الموارد القابلة للتعبئة والتثمين، الفاعلين والشركاء المحتملين، استراتيجيات وسيناريوهات التنمية...

إن المشروع الترابي هو رد فعل دقيق وظاهرة معقلنة يتم تنشيطها من خلال استراتيجيات دقيقة، ترمي تحقيق الرهانات والتحديات المطروحة أمام الفاعلين المحليين في حيز ترابي معين. كما يرمي إلى استرجاع الثقة في المجال وإعطائه هوية مشتركة خصوصا بالنسبة للمجالات التي تعرف اختلالات سوسيو اقتصادية، وانعدام الثقة والشعور بالانتماء. فهو عملية تنموية ونسق يتميز بست خاصيات:

- ✓ نهج جديد في تخطيط التنمية، ويشكل قطيعة مع التناول القطاعي والمركزي للمسألة التنموية.
- ✓ يقوم المشروع الترابي على إشراك جميع الفاعلين المعنيين بالمسألة التنموية، وذلك في مختلف مراحل المسلسل (من التصور إلى الإنجاز والتقييم والتتبع).
- ✓ ينبثق من التعبئة المتكاملة للموارد الخاصة بحيز ترابي معين، سواء الموارد الظاهرة أو الكامنة.
- ✓ المشروع الترابي يتأسس وفق مقاربة أفقية للتنمية، تقتضي تنسيق أهداف الفاعلين وتدخلاتهم، وتمكن من ترشيد الموارد والأعمال، ويتم ذلك في إطار تعاقدي بين الفاعلين يمكن أن يتخذ صبغة ميثاق ترابي.
- ✓ المشروع الترابي مشروع شمولي، يعبئ كل مكونات الحقل التنموي من خلال إنجاز عمليات للتأهيل وعمليات مهيكلة.
- ✓ هو مشروع استراتيجي مستقبلي ودائم، يندرج في الديمومة وينتج التنمية باستمرار، أي توجهه أهداف تتحقق على المدى البعيد، وبرامج تنتج في المدى المتوسط، وعمليات تنفذ في المدى القريب.

1 – 4 – التشخيص الترابي: حلقة أساسية في سيرورة التنمية.

التشخيص الترابي هو المرحلة الأولى لعملية إعداد المجال وإنتاج المشاريع الترابية، وهو يعني من منظور التنمية إجراء الملاحظة والجرد الشاملين لمجموع مكونات الحيز الترابي، وإنتاج المعلومات الموطنة. والتشخيص الترابي ليس عملية ميدانية فحسب، لكنه كذلك مقاربة بيبليوغرافية ووثائقية. فالتشخيص الترابي يهم القيام بعملية التهيئة أو بناء تخطيط جديد، يتعلق الأمر تدريجيا بممارسة جارية وتثمينية ، فهو أداة تساعد على أخذ القرار الصحيح بالنسبة لإعداد تراب معين، لأنه ينبني على المقاربة التوافقية للتنمية الترابية[1].

(1) الخزان بوشتى (2011): تثمين الموارد الترابية والتنمية المحلية بفاس الكبرى، مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي، العدد 13 ص.7.

لا يمكن أبدا أن يكون التشخيص الترابي محايدا أو معزولا، بل يرتبط دائما بإشكالية قائمة، ويعبر عن دراسة توقعية للمستقبل، تمكن من الإسهام في اتخاذ القرار السياسي، وهو بذلك يضم دائما الرهانات التي تنبثق عنها الاستراتيجيات ومحاور العمل والبرامج والعمليات[2].

والتشخيص الترابي هو العمل الذي يحصي في حيز ترابي معين: المشاكل، ونقط القوة، والضعف، وانتظارات المواطنين، والرهانات الاقتصادية والبيئية والاجتماعية. إنه يقدم التوضيحات حول تطور الماضي وتوقعات تطور المستقبل. كما يدرس استراتيجيات الفاعلين ومدى تعارض مصالحهم وأهدافهم أو تقاربها، مع ضرورة الحرص على عدم اعتبار التشخيص الترابي هدفا أسمى أو غاية فضلى نسعى لتحقيقها، وإنما هو حلقة فقط من سيرورة التنمية، يساعد الفاعلين على اتخاذ القرارات الملائمة من أجل إنجاز وبلورة مشاريع ترابية قادرة على تحقيق التغيير والرقي بجودة الحياة الإنسانية.

2 – التشخيص الاستراتيجي للموارد الترابية بمنطقة صفرو.

تتوفر مدينة صفرو ومحيطها على مجموعة واسعة من الموارد الترابية، تتنوع بين موارد طبيعية مختلفة وموارد ثقافية متعددة، والتي ستشكل في حال تثمينها وتعبئتها المنطلق المفصلي للنهوض بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتواضعة للساكنة المحلية، وذلك لكون هذه الموارد تعتبر المحرك الأساسي والخزان الدائم لمختلف الأنشطة التي يمكن للحيز الترابي المحلي حملها.

2–1 – المشاهد والثروات البيئية.

2–1–1 مشهد الدير: إنه مجال الغراسة بامتياز، فمدينة صفرو تقع في دير الأطلس المتوسط الشمالي، بين أوساط جغرافية ذات خصائص بيئية متنوعة. فهناك من جهة مقدمة صفرو المتميزة بصخورها الصلصالية وتربتها الغنية، ومن جهة أخرى الأطلس المتوسط الغني بغطاء نباتي طبيعي. ومن مميزات هذه المنطقة أنها توفر وسطا طبيعيا ملائما للغراسة، والغراسة ظاهرة قديمة بها، تمثلت في الزياتين والتين والكرز والجوز والرمان وغيرها من الأشجار التقليدية ظهرت إلى جانبها في السنوات الأخيرة أصناف جديدة من الورديات كالتفاح والإجاص على وجه الخصوص.

تمتد مدينة صفرو على السفح الشمالي للأطلس المتوسط، مما أكسبها مميزات خاصة، وهي المميزات التي تتمتع بها مناطق الدير على العموم، والتي تجعل من هذا الأخير مجالا جغرافيا متميزا، ومن أبرز هذه المميزات موقع الالتقاء بين السهل والجبل ووفرة المياه (عيون وأودية)، والتدرج البيومناخي (تنوع النبات الطبيعي من الأعلى نحو الأسفل)، والكثافة المرتفعة وقدم الاستيطان (مداشر كبيرة وعديدة على امتداد الدير)، وانتشار الزراعة والغراسة المسقيتين، والتنظيم المحكم للمجال في إطار اقتصاد قائم على ركائز متنوعة ومتكاملة وازدهار التبادل التجاري كنتيجة لتنوع المواد وتكامل الإنتاج[3].

كما تمتد غالبية جماعات المنطقة بدير الأطلس المتوسط الشمالي (الخريطة رقم 1)، وهو ما يجعلها خزانا حقيقيا للعديد من الموارد الترابية الهامة، تنضاف إلى المشاهد المتميزة التي تزخر بها المنطقة (مزدغة الجرف، رباط الخير، العنوصر..).

(2) البحيري زهير (2011): التراث الثقافي ودوره في بناء المشروع الترابي لمدينة صفرو، ضمن كتاب الثقافة ورهانات التنمية، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الدورة 21، الشركة العامة للتجهيز والطبع، ص 150.

(3) جنان لحسن (1988): صفرو حاضرة الأطلس المتوسط، ضمن كتاب صفرو بين غنى الماضي واهتمامات الحاضر، منشورات الجواهر، فاس، ص:11.

خريطة رقم 1 : دير الأطلس المتوسط الشمالي، عند جنان لحسن (1985): ميكانزمات ومظاهر تحول العالم القروي بدير الأطلس المتوسط الشمالي، مجلة كلية الآداب فاس، عدد خاص1، ص112.

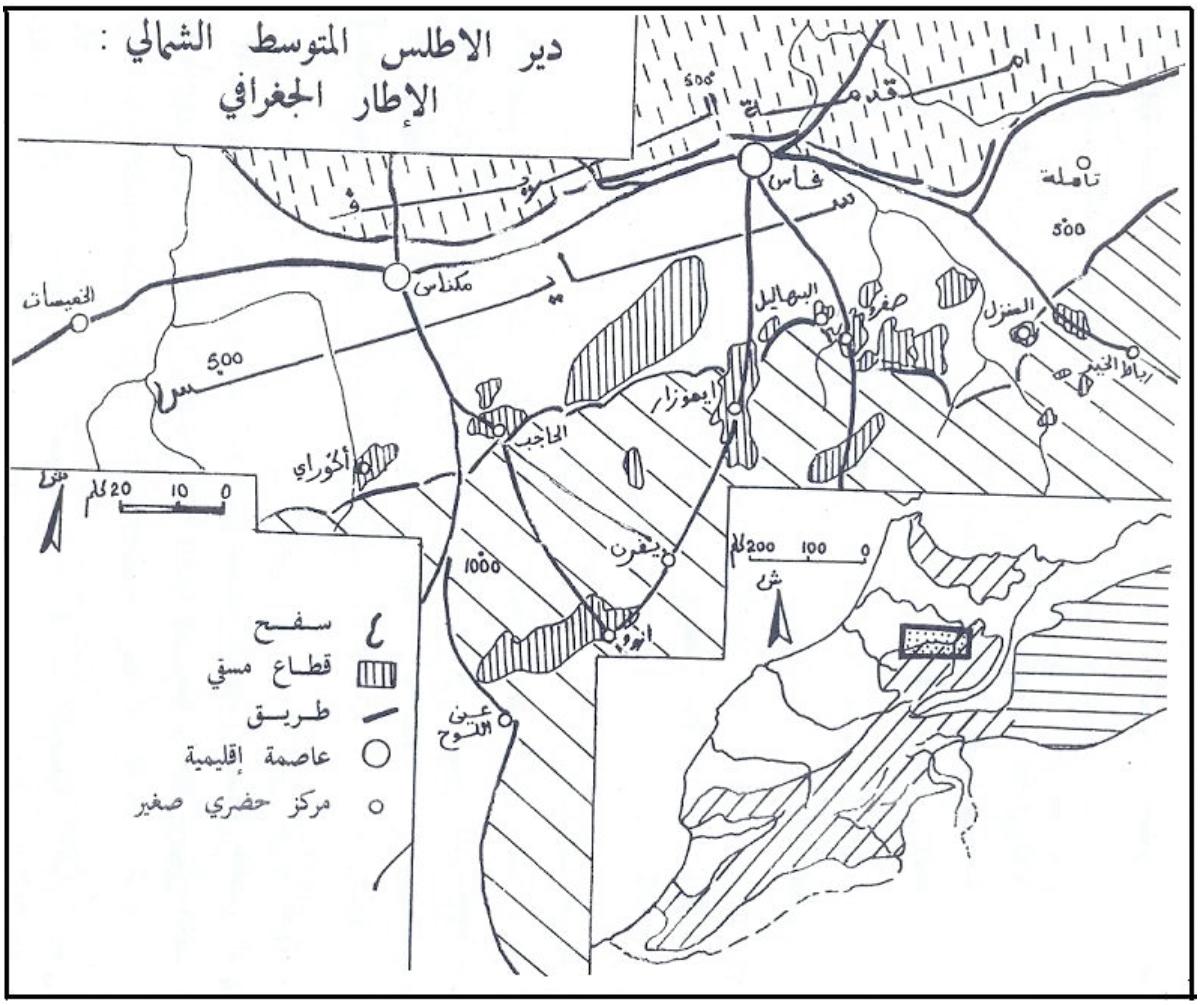

2-1-2 مسارح طبيعية: تشكلها الحافات والكهوف وبعض المغاور المنتشرة بمناطق مختلفة من اقليم صفرو، بالإضافة إلى أجراف متعددة ذات الأشكال الكارستية المختلفة، فبالنسبة للتشكيل الكاريستي السطحي فهو واضح المعالم عبر أشكال التآكل البارزة على طول الأعراف، وتارة أخرى على شكل مغاور وكهوف خاصة بمدينتي صفرو والبهاليل، مثل كهف المومن، والبقرة وكهف الغولة..

صورة رقم1 :الأجراف والحافات بمزدغة الجرف

2-1-3 - الموراد المائية: تتميز منطقة صفرو بوفرة الموارد المائية التي تجعل منها خزان المغرب المائي، وتتنوع هذه الإمكانيات الطبيعية بين الموارد السطحية التي تمثلها الوديان، الأنهار، والعيون، منها: واد أكاي، واد سبو، زلول، عوينة الركراك، عين تمكناي، عين تندرين، عين كبير، عين تبخباخين، عين الجوع.. كما يتميز مجالها المحلي برصيد هام من الموارد الجوفية لاسيما ببلاد بني يازغة، وهو ما يجعلها قبلة للمستثمرين لإقامة الضيعات الفلاحية خصوصا مع سهولة الوصول إلى هذه الموارد الهامة، لكن استغلالها العشوائي يشكل خطرا على الفرشة المائية المحلية ومستقبل المنطقة.

2-1-4- الغابة: لاشك في أن منطقة صفرو تعتبر من بين أهم المناطق الغابوية بالجهة، والتي تمثل فيها الغابة حوالي 10 % من إجمالي المساحة الغابوية بالمملكة[4]، وتتوفر المنطقة بفضل موقعها في دير الأطلس المتوسط الشمالي، وأيضا نتيجة ووفرة التساقطات المطرية والثلجية التي تعرفها، على مساحة غابوية هامة تقدر بحوالي 136000 هكتار[5]، وتتشكل غابة الإقليم في معظمها من السنديان الأخضر والعفصية، بالإضافة إلى الأرز ، وتبقى أهم المناطق الغابوية بصفرو هي: تافرت، أدرج، اغزران.. دون أن ننسى الغابة المحيطة بمدينة صفرو، والتي تشكل عاملا هاما في تميز مناخ المدينة، بالإضافة إلى دورها الترفيهي بالنسبة للساكنة الحضرية.

2-1-5 أشجار الزيتون والورديات: تشتهر منطقة صفرو بجودة زيت الزيتون، والتي تنتشر زراعته على مساحة واسعة من الإقليم كما هو الحال بالنسبة لجماعات عزابة، اولاد مكودو، المنزل.. بالإضافة إلى تزايد مستمر في زراعة الورديات (التفاح، الكرز، الإجاص، البرقوق) خاصة بجماعتي اولاد مكودو والعنوصر.

2-1-6 الشلالات الطبيعية: إن التنوع الطبوغرافي لمنطقة صفرو، ووجود شبكة مائية مهمة، أديا إلى خلق مجموعة من الشلالات الطبيعية تكتسي أهمية بيئية، وسياحية هامة، ومن أبرز هذه الشلالات نجد:

- **شلال القلعة** نسبة للحي القريب منه «حي القلعة»، وهو إحدى مكونات المدينة

العتيقة لصفرو. ويعرف كذلك بشلال صفرو. تتساقط مياه هذا الشلال على ارتفاع 10 أمتار تقريبا، ويبلغ عرضه حوالي 6 أمتار. ومما يزيد من جمالية هذا الموقع الأشكال الكارستية الغريبة التي ساهم الماء في تشكيلها. يمثل هذا الشلال نقطة سياحية مهمة، ومتنفسا لسكان المدينة وزائريها، ومن شأن الاستغلال الجيد لهذا الموقع أن يمكن من استقطاب العديد من السياح والاستثمارات.

صورة رقم 2: شلال صفرو

(4) المونوغرافية الاقتصادية والاجتماعية لجهة فاس- بولمان 2007.
(5) المديرية الإقليمية للمياه والغابات صفرو 2008.

– **شلالات مزدغة الجرف**: وهي مجموعة من الشلالات التي تنتشر بضواحي مدينة صفرو (حوالي 15 كلم عن صفرو)، في المنطقة المعروفة بمزدغة الجرف، وتتميز هذه الشلالات بمناظرها الخلابة في مرتفع يتضمن أجراف وحافات تمكن الزائر من رؤية بانورامية رائعة لمحيط صفرو، غير أن هذا الموقع يبقى معزولا ويصعب الوصول إليه، بفعل غياب الربط الطرقي وغياب الاهتمام من قبل المسؤولين والسلطات الوصية.

– زراب سليمان: وهو شلال رائع يوجد في النفوذ الترابي لجماعة اولاد مكودو، يتميز هذا الموقع بمناظر تغري بالمشاهدة، ويمكن ان يتحول إلى فضاء سياحي هام بالمنطقة لو تم دعمه بالبنيات التحتية والتجهيزات الضرورية، لاسيما أنه يوجد في منطقة تتيح خيارات واسعة للسياحة الجبلية والبيئية.

2–1–7 الثروات الباطنية:تشتهر منطقة صفرو بغناها بالعديد من مقالع الرمل، والتي تتميز بإنتاج وافر وشهرة وطنية، وزيادة على ارتباطها وتداخلها مع قطاع البناء والأشغال العمومية يمكن تصنيفها كذلك في باب المعادن. كما تتوفر المنطقة على معدن ثمين، ألا وهو الرخام، وذلك بالنظر لقيمته المادية المرتفعة نتيجة استعمالاته المتنوعة في البناء والتزيين والأثاث المنزلي. ويضم الإقليم ما يزيد عن 11 مقلعا تتمركز جميعها في جماعة تاوزطة، القريبة من مدينة صفرو، والتي يتم استغلالها من طرف شركات معنوية متعددة مثل: *Sté Atlas Stone, Sté Edilcomar, Sté Grande Marbre*..، لكن دون أن تستفيد مدينة صفرو أو الإقليم من هذا الاستغلال.

2–1–8 الوحيش: تتميز الجماعات القروية التابعة للنفوذ الترابي لإقليم صفرو بوفرة ثرواتها الحيوانية، والتي تشكل تراثا طبيعيا يتوجب تثمينه والحفاظ عليه، وتبقى اغزران على رأس الجماعات التي تتوفر علي رصيد هام من الوحيش، مثل الحمام، الأرنب، الحجل، الضبع، الخنازير.. فعلاوة على قيمتها البيئية الكبيرة، فإنها تشكل مرتكزا قويا لدعم السياحة البيئية والجبلية بالمنطقة.

2–2 – التراث المبني.

تعتبر مدينة صفرو ومحيطها من أقدم التجمعات البشرية في المغرب، فتاريخ المدينة يرجع إلى ما قبل الإسلام[6]، وتجذرها المنطقة أعطاها هوية ثقافية، وجعلها تزخر بتراث ثقافي مادي أصيل، في شكل أسوار، بروج، أبواب تاريخية، فنادق، مساجد...كما هو الحال بشكل خاص بالنسبة لمدينة صفرو، التي تمثل تراثا وطنيا يستوجب المحافظة ورد الاعتبار إليه، بالإضافة إلى أصالة وعراقة مراكز المنزل، البهاليل، العنوصر.. والتي لا تزال تحتفظ ببعض من تراثها المعماري التاريخي (قلاع بني يازغة، قصبات، دور ومساجد تاريخية..)، ومن أمثلة التراث المبني الذي يميز منطقة صفرو نجد:

2–2–1 الأسوار التاريخية: تبقى أشهرها تلك التي تحيط بمدينة صفرو العتيقة والقلعة، والتي تم تصنيفها كتراث وطني بموجب قرار صادر عن مديرية الفنون الجميلة بتاريخ 18 دجنبر سنة 1926، منها سور غديوة، بني مدرك، القلعة..

2–2–2 الأبواب والأبراج: تتوفر مدينة صفرو على العديد من الأبواب والأبراج التاريخية ، مثل برج وباب المقام، برج وباب المربع.. غير أن الغالبية العظمى من أبراج المدينة قد تعرض للزوال والدمار، مثل برج ستي مسعودة، عرسة الدار..

(6) Benhalima Hassan (1987) : Petites villes traditionnelles et mutations socio-économiques au Maroc, le cas de Sefrou, FLSH de Rabat, Imprimerie de Fédala, pp.33-34

2-2-3 المساجد التاريخية: تشتهر منطقة صفرو بوجود رصيد هام من المؤسسات الدينية التاريخية منتشرة في مناطق متعددة من الإقليم، مثل المسجد الأعظم بصفرو، المسجد الكبير بالمنزل...

2-2-4 المنازل العتيقة: كما هو الحال بالنسبة لغالبية المدن المغربية الأصيلة، فإن مدينة صفرو تزخر بتراث معماري هام يتضمن أشكال ونماذج مختلفة من المنازل التاريخية، على شاكلة المنازل أندلو-مغربية، منازل اليهود، بالإضافة إلى انتشار واسع للمنازل التقليدية وذات طابع المعمار القروي بكل من المنزل، البهاليل، وغالية جماعات الإقليم.

2-2-5 الفنادق: بفعل عراقة النشاط التجاري ووجودها في محور هام للطرق التجارية الصحراوية، كان لازما على مدينة صفرو أن تتوفر على فنادق تأوي الرحالة والمسافرين، وأيضا التجار وسكان القبائل المجاورة ليلة سوق الخميس، الشيء الذي يفسر وجود تسعة فنادق بالمدينة، خمسة منها دمرت بالكامل وثلاثة في حالة يرثى لها، ولم يتبقى في حالة جيدة سوى فندق واحد وهو فندق الحدادين (الذي تحول إلى محل لبيع الأثاث القديمة).

بالإضافة إلى ذلك نجد منطقة صفرو حبلى بالعديد من أشكال تراث المادي، على شكل سقايات تاريخية، حمامات، قناطر، مدارس، أفران عتيقة.. والتي تنتشر بمناطق متعددة من منطقة صفرو (المنزل، البهاليل..).

2-3- الهويات الإثنولوجية والذاكرة الجماعية والمهارات.

لقد كان لموقع صفرو ومنطقتها في دير الأطلس المتوسط الشمالي عند ملتقى أهم الطرق التجارية التاريخية، وكذا تعاقب العديد من الحضارات على ضمها، أثر واضح في تنوع النسيج الاجتماعي للمنطقة، وهو ما أسهم في إنتاج تراث لامادي هام وأصيل.

2-3-1 الصناعة التقليدية: لعل الإمكانيات الطبيعية الهامة التي يوفرها الوسط الطبيعي، زيادة على موقع ووظيفة المدينة التجارية، كانت أسباب كافية في احتلال الصناعة التقليدية مكانة متميزة في منطقة صفرو، والتي اتسمت منذ القدم بالدقة الفنية وروح الابتكار. وتنشتر الصناعة التقليدية بمختلف أنواعها وفروعها (النسيج، الدوم والحلفاء، الخزف، الزرابي..) في معظم أرجاء منطقة صفرو.

2-3-2 الأضرحة والزوايا: تشتهر المنطقة بانتشار واسع لعدد كبير من الزوايا والأضرحة، والتي شكلت على مر تاريخ المنقطة الطويل مركزا للممارسة الدينية والنهضة الروحية والفكرية، مثل زاوية سيدي الحسن بن مسعود اليوسي (شرق مدينة صفرو)، وضريح سيدي علي بوسرغين (صفرو)، ضريح سيدي امغيث (المنزل)..

صورة رقم 3: ضريح سيدي علي بوسرغين (صفرو)

2-3-3 التراث المسموع: منطقة صفرو غنية بتراثها الفني والمسموع، والذي لا يزال صامدا في أماكن متعددة من الإقليم، باعتبار رمزا للهوية المحلية، ومكونا أساسيا من ثقافتها وأصالتها العريقة، ومنه على الخصوص فن أحيدوس بقبيلتي بني يازغة وبني زهنة، والذي يمثل تراثا ثقافيا يستوجب التثمين ورد الاعتبار.

2-3-4 المواسم والملتقيات: يبقى أهمها موسم حب الملوك (صفرو) والذي صنف أواخر السنة الماضية كتراث عالمي لا مادي، تنضاف إليه العديد من المواسم المحلية التي تقام بعدد من جماعات الإقليم، دون أن ننسى الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، والمنتدى السنوي للتنمية والثقافة بجماعة اغزران القروية.

2-4 - الموارد ذات الخصوصية.

تزخر منطقة صفرو برصيد لابأس به من الموارد ذات الخصوصية، والتي يمكن في حال تثمينها وتعبئتها وفق سيرورات معينة، أن تشكل رافدا حقيقيا للتنمية المحلية.

صورة رقم 4: زيارة لإحدى كهوف البهاليل[7]

2-4-1 - الكهوف: اشتهرت منطقة صفرو منذ القدم بظاهرة السكن في الكهوف وتقديسها، ويذهب بعض الباحثون إلى أن سكان صفرو الأوائل كانوا وثنين، وذلك بسبب استمرار المعتقدات ذات المذهب الطبيعي في كل من الديانتين اليهودية والإسلامية. ويتمثل وجود بعض بقايا هذه المعتقدات القديمة، في تقديس الحجارة والكهوف أشهرها كهف المومن أو كهف لهودي. ولا تزال العديد من الأسر تقطن إلى الآن في كهوف بمدينة البهاليل، التي تحول البعض منها إلى أمكنة للإيواء والاستغلال السياحي.

2-4-2 شجرة الكرز (حب الملوك): إن ذكر حب الملوك، لا بد وأن يرتبط في ذهن كل مغربي بمدينة صفرو، هاته المنطقة التي حباها الله بجمال الطبيعة، وأفردها بشجرة الكرز، لدرجة لقبت معها صفرو بمدينة حب الملوك، وهي الشجرة التي كرست تقليدا راسخا بمدينة صفرو هو «موسم حب الملوك» الذي أضحى اليوم تراثا عالميا يستوجب من الفاعلين والمسؤولين عن تدبير الشأن المحلي الارتقاء به إلى مستوى المواسم الدولية في هذا المجال.

2-4-3 الأزرار (العقاد): ارتبطت صناعة الأزرار الحريرية بإقليم صفرو تاريخيا بوجود المغاربة اليهود بالمنطقة، الذين كانوا إلى حدود الستينيات يشكلون قوة رئيسية لجميع المكونات الاقتصادية للإقليم عامة، ولمدينة صفرو خاصة، وقد انتشرت هذه الحرفة داخل الأوساط السكانية النسوية في مختلف مناطق الإقليم بشكل تدريجي منذ أواسط هذا القرن بعدما كانت مقتصرة فيما قبل على اليهوديات بمدينة صفرو.

3 - تثمين الموارد الترابية كأساس للتنمية المحلية بمنطقة صفرو.

يقتضي تثمين الموارد الترابية المحلية لمنطقة صفرو إدراجها في إطار مشروع ترابي مهيكل ومندمج، يكون قادرا على تحسين ظروف عيش الساكنة المحلية والرقي بأوضاعهم السوسيو-اقتصادية، انطلاقا من التعبئة المثلى

(7) جريدة العرب اليوم، مئات العائلات المغربية تعيش في كهوف نحتت في جبال الأطلس المتوسط، الثلاثاء 26 تشرين الأول / أكتوبر 2010. http://www.arabstoday.net

والاستغلال الجيد لموارد الحيز الترابي المعني، وبشكل يؤسس على ضرورة المحافظة على ثرواته الطبيعية والثقافية ويضمن استدامتها للأجيال المقبلة. وانطلاقا من التشخيص الاستراتيجي لمختلف الموارد الترابي المتوفرة بمنطقة صفرو، وتبعا لمجمل ما تم التطرق إليه في محاور وفصول هذا المقال (ولو بعجالة) ، خلصنا إلى مجموعة من النتائج التي يمكن تعبئتها من خلال نموذج *AFOM* على الشكل التالي:

✓ ***AFOM***

الفرص (OPPORTUNITES)	الـمهددات (MENACES)
✓ التموضع الجغرافي المتميز: في دير الأطلس المتوسط. ✓ هوية متميزة (تاريخ عريق، عادات، مواسم محلية..). ✓ تراث طبيعي وتاريخي ومشهدي متميز. ✓ مواقع ذات فائدة بيولوجية وإيكولوجية... ✓ تراث عالمي (موسم حب الملوك). ✓ ملتقى ثقافي بشهرة وطنية. ✓ قطاع الصناعة التقليدية معترف به وطنيا ودوليا. ✓ جمعيات غالبا مما تتضمن مشاريعها بعد التنمية البشرية. ✓ رأسمال بشري مهم (الشباب). ✓ عنصر نسوي فاعل وقادر على الانخراط الإيجابي.	✓ تدهور متقدم للتراث المبني. ✓ زحف متزايد للتوسع الحضري على حساب المجال الزراعي والغابوي. ✓ الهجرة القروية المتواصلة في اتجاه صفرو ومدن أخرى. ✓ عدم تأهيل المواقع السياحية بالمنطقة. ✓ غياب التجهيزات والبنيات الضرورية. ✓ فصل قطاعي للإدارات يشتت الجهود ويعيق التعاون. ✓ غياب الاستثمار، وضعف البنية التحتية السياحية والصناعية. ✓ غياب الاهتمام بالعنصر البشري. ✓ ارتفاع نسب البطالة والفقر.
مواطن القوة (ATOUTS)	**مواطن الضعف (FAIBLESSES)**
✓ ظهور السياحة كمؤهل وكعامل ديناميكي هام. ✓ المبادرة الوطنية للتنمية البشرية كإطار تنموي وتمويلي. ✓ الميثاق الجماعي الجديد وما يوفره من صلاحيات واسعة للمجالس الجماعية في التسيير واتخاذ القرارات. ✓ المخطط الجماعي للتنمية كأداة للتشخيص الترابي. ✓ مخطط المغرب الأخضر. ✓ مأسسة دور الفعاليات المدنية والجمعوية وتعزيز حضورها في المشهد اليومي محليا ووطنيا. ✓ بداية تعبئة الفاعلين المحليين من أجل التنمية الترابية.	✓ تراجع وتلوث الموارد المائية. ✓ تدهور الغطاء الغابوي والمجال الأخضر. ✓ مسلك الصناعة التقليدية مهدد بارتفاع معدل هجرة الشباب ومنافسة المنتوجات الصناعية. ✓ ضعف تأهيل المراكز والجماعات التابعة للإقليم. ✓ تدهور المواقع والمآثر التاريخية بالمدينة وقد تم إتلاف وتدمير العديد منها في السابق. ✓ الاستغلال غير المعقلن للموارد الطبيعية. ✓ هجرة ومغادرة أطر المنطقة.

نتيجة التشخيص بمنطقة صفرو:

انطلاقا من التشخيص الاستراتيجي للموارد الترابية بمنطقة صفرو وفي إطار شبكة القراءة والتحليل المعتمدة، والتي مكنتنا من الوقوف على الدينامية الترابية وتحليلها من خلال إبراز مواطن القوة، مواطن الضعف، الفرص، والمهددات. فإن ما تم جرده من موارد يشكل سلة للمنافع والخدمات، نعمل من خلالها على بناء مشروع

ترابي مهيكل، تتفرع من خلاله محاور استراتيجية للتنمية فالبرامج القطاعية، ثم العمليات التي تخص تعبئة الموارد الأكثر قابلية للتعبئة.

حصيلة التركيب:

وبالتالي يكون المشروع الترابي لمنطقة صفرو على الشكل التالي:.

عنوان المشروع	المشروع الترابي لمنطقة صـــفـــرو
الحاملون للمشروع	جماعات اقليم صفرو (صفرو، المنزل، رباط الخير، اغزران، أولاد مكودو، البهاليل..)
الحيز الترابي المعني بالمشروع	منطقة صفرو.
مبررات المشروع وأهدافه	**المبررات:** – توفر المنطقة على موارد ومؤهلات مهمة من شأن تعبئتها تحقيق تنمية شمولية ومندمجة. – ضعف ومحدودية تثمين الموارد الترابية المحلية. **الأهداف:** – النهوض بالقطاعات الأساسية: السياحية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية. – تحسين إطار وجوده حياة الساكنة المحلية. – الحد من الهجرة القروية. – تثمين المؤهلات المحلية، تنويع الأنشطة.
أهداف التشخيص	بلورة استراتيجية تنموية جديدة تضمن الانتقال من التثمين المحدود للمؤهلات المحلية بالحيز الترابي المعني، إلى تحقيق تنمية ترابية شمولية ومندمجة بانخراط الفاعلين المحليين، فعاليات المجتمع المدني، السكان.
الموارد الترابية القابلة للتثمين	– موارد طبيعية متعددة: فلاحة، غابة، مياه.. – مؤهلات سياحية هامة ومتنوعة: شلالات، منابع، أودية، عيون، كهوف، مشاهد.. – تراث ثقافي متجدر وعريق: تاريخ وحضارة غنيين، تراث مبني أصيل، تراث عالمي لامادي، تراث شفهي، مواسم محلية، تقاليد ومهارات، صناعة تقليدية غنية..
قدرات للتطوير	– تنمية مقاربة جديدة في التنمية الترابية تقوم على أساس الاعتماد على الإمكانيات والموارد الذاتية. – اعتبار المشروع الترابي أساس التنمية المحلية المندمجة والمستدامة.

المحاور الأساسية للتنمية المحلية	- تنمية مجموع القطاعات انطلاقا من تعبئة الموارد الترابية الأساسية. - المحاور الاستراتيجية للتنمية: تأهيل المراكز الحضرية والجماعات القروية والرفع من مستوى تجهيزاتها وبنياتها التحتية. تثمين قدرات السياحية المختلفة للمنطقة. تثمين التراث المادي واللامادي. تطوير القطاع الفلاحي والحفاظ على المجال الطبيعي والأخضر. ترسيخ مبادئ التدبير الجيد والحكامة الرشيدة.
الشركاء المحتملون	وزارة الفلاحة والصيد البحري، وزارة السياحة والصناعة التقليدية، وزارة الصناعة والتجارة والتكنولوجيات الحديثة، وزارة الثقافة، المركز الجهوي للاستثمار، وكالة التنمية الاجتماعية، الجامعة ومراكز البحث، فعاليات المجتمع المدني..
مدة الإنجاز	لا يمكن حصر المدة الزمنية لإنجاز المشروع المهيكل، فهو ينبني على شكل لولبي ويتميز بالديمومة والاستمرارية، أما البرامج المتفرعة عنه، فيمكن حصر مدة إنجازها ما بين 3 إلى 5 سنوات، بينما العمليات تمتد من ستة أشهر إلى سنة.

لكن آفاق التنمية الترابية بمنطقة صفرو تبقى رهينة بمدى قدرة الفاعلين المحليين على تعبئة وتثمين الإمكانيات والموارد الذاتية، وفق سيرورات معينة تضمن الانتقال من التثمين المحدود لإمكانيات المهمة التي يزخر بها هذا المجال، إلى مقاربة جديدة للتنمية المحلية يشكل فيها المشروع الترابي أساسا لنجاح كل المبادرات التنموية.

فالمنطقة غنية بمواردها الترابية المختلفة، التي تتنوع بين الإمكانيات الطبيعية الهامة التي يوفرها الموقع المتميز في دير الأطلس المتوسط الشمالي، كما أنها تزخر بتراث ثقافي وتاريخي عريق، جعلت اليونيسكو تصنف بعضا منه تراثا عالميا، لكن هذا الغنى وهذا التنوع لم يسمح بحدوث تطور نوعي كفيل بتحسين ظروف عيش الساكنة المحلية والرقي بأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما يجعل من تغيير نمط التنمية، الذي ساد منذ عقود طويلة، ضرورة ملحة تفرضها التحولات الداخلية والخارجية.

لكن المقاربة التنموية والاستراتيجية المقترحة لتنمية المنطقة تنمية مندمجة شمولية ومستدامة، تتطلب بالضرورة توفير الشروط الملائمة لتطبيقها، وكذا المؤسسات والآليات الفعالة واللازمة لتجعل منها برامج واقعية وقابلة للإنجاز والأجرأة، والتي يبقى على رأسها تأهيل العنصر البشري ليكون قادرا على مواكبة المستجدات والتحديات الجديدة، تعزيز آليات التشاور مع السكان المحليين وفعاليات المجتمع المدني، وذلك في أفق إقناع الفاعلين بتبني خيارات وتوجهات استراتيجية معينة تندرج في إطارها البرامج التنموية المستقبلية، والتي يكون التعاقد مرتكزها ومنطلقها الأساس.

* * * *

بيبليوغرافيا

- بوشتى الخزان (2011): تثمين الموارد الترابية والتنمية المحلية بفاس الكبرى،مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي، العدد 13 ص.7.
- زهير البحيري (2011): التراث الثقافي ودوره في بناء المشروع الترابي لمدينة صفرو، ضمن كتاب الثقافة ورهانات التنمية، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الدورة الحادية والعشرين، الشركة العامة للتجهيز والطبع، الطبعة الأولى.
- زهير بن جنات (2006): استراتيجيات الفاعل التنموي بين متطلبات المحلي وإكراهات المعولم، ضمن كتاب المجتمع المحلي والتنمية: الاستراتيجيات والتحديات، أشغال ندوة القسم العلمية الدولية الثانية، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب بصفاقس، جامعة صفاقس.

- لحسن جنان (1988):صفرو السكان والأنشطة الاقتصادية، ضمن كتاب صفرو بين غنى الماضي واهتمامات الحاضر، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الدورة الأولى. مطبعة البلابل، فاس.
- لحسن جنان (1988):صفرو حاضرة الأطلس المتوسط الشمالي، ضمن كتاب صفرو بين غنى الماضي واهتمامات الحاضر، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الدورة الأولى. مطبعة البلابل، فاس.
- محمد كربوط (1989): أزمة منطقة صفرو وإمكانية تجاوزها من خلال استقراء جوانب التطور الديمغرافي بعد 1960، ضمن كتاب التنمية المحلية وتهيئة المجال بالمغرب، صفرو ومنطقتها نموذجا، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الدورة الثانية. مطبعة البلابل، فاس.

- *BOURTOURAULT Hervé (*2003*) : Les conditions d'émergence d'un projet culturel en milieu rural, Etude de la mise en place de l'agence culturelle du Morvan. Mémoire de DESS en Développement culturel et direction de projet, Fac de l'anthropologie, de sociologie, et de science politique, Arsec/Université Lumière Lyon* 2*, France.*
- *ALOUI Omar (*2007*): Développement territorial rural, Concepts et outils, In Elément d'analyse sur le développement territorial, Aspects théoriques et empiriques, Ed L'Harmattan, Paris, France.*
- *JENNAN Lahsen (*2007*) : Quelle mobilisation du patrimoine pour le développement des territoires ? exposé présenté au troisième festival de la culture amazighe* à *Fès, juillet* 2007.
- *JENNAN Lahsen, LANDEL Pierre-Antoine, SENIL Nicolas (*2007*) : le patrimoine : une ressource pour le développement territorial, Expériences de mise en œuvre de pôles d'économie du patrimoine au Maroc. Revue Cahiers Géographiques, N° :* 3/4 *Université Sidi Mohamed Ben Abdallah. F.L.D.M. Fès.*
- *LAPEZE Jean et d'autres (*2007*) : Eléments d'analyse sur le développement territorial, aspects théoriques et empiriques, La Librairie des humanités, Ed L'Harmattan.*
- *Ministère De l'Urbanisme, de l'Habitat et du Développement Territorial, Direction de l'Aménagement du territoire : Etude sur le projet de territoire, Rapport phase III, Université Pierre Mendés, Grenoble II, France*